علاقة ملوك المملكةالآشورية الحديثة

(٩١١-٦١٢ ق . م) مع المانائيين

المدرس الدكتور

عبدالغني غالي فارس

جامعة البصرة - كلية التربية للبنات

علاقة ملوك المملكةالآشورية الحديثة (٩١١-٦١٢ ق . م) مع المانائيين

المدرس الدكتور
عبدالغني غالي فارس
جامعة البصرة - كلية التربية للبنات

ملخص البحث

يدرس البحث علاقة ملوك المملكة الآشورية الحديثة (٩١١ - ٦١٢ ق.م) مع المانائيين . وتضمن ثلاثة محاور ، فضلا عن مقدمة وخاتمة . وقد أفردنا المحور الأول لإعطاء نبذة موجزة عن المانائيين ، فيما خصصنا المحورين الثاني والثالث تباعا للحديث عن علاقة ملوك المملكة الآشورية الحديثة الأولى والثانية مع المانائيين .

وقد تبين من البحث أن المانائيين ينتمون لمجموعة شعوب العائلة الاسيائية ، وتقع منطقة سكناهم جنوب بحيرة أرومية أو ما يعرف حاليا كردستان الإيرانية . ويعد آشور ـ ناصربال الثاني(٨٨٣ - ٨٦٠ ق.م) أول ملك آشوري كانت لديه صلات مع المانائيين وقامت على أساس خضوعهم لسلطته في بداية عهده . ومن ثم تأرجح المانائيون بصورة عامة ما بين الخضوع الجزئي أو الكلي لسائر ملوك آشور حينا والخروج عن طاعتهم حينا آخر . وقد استمر هذا الحال حتى عام ٦٦٠ ق.م ، أي إلى العام الذي أخضعهم فيه الملك الآشوري آشور بانيبال (٦٦٨ - ٦٢٧ ق.م) ، إذ حافظوا لاحقا على ارتباطهم السياسي بالآشوريين وحتى أواخر عمر المملكة الآشورية الحديثة . وغالبا ما كان تمردهم على السلطة الآشورية يحصل بتأثير من قوى خارجية ، ولاسيما مملكة اورارتو في أرمينيا .

كما اتضح أن ملوك آشور تباينوا في ردود أفعالهم إزاء الخروج المتكرر للمانائيين على سلطانهم . ففريق منهم لم يحرك ساكنا ، وفريق آخر كانت ردة فعله عنيفة إزاء ذلك ، فيما أبدى فريق ثالث ردة فعل متعقلة في معالجة هذه المشكلة وصلت إلى حد العفو أحيانا عن حكام ماناي المتمردين وأتباعهم مقابل عودتهم ثانية للسيادة الآشورية .

المقدمة :

كان لملوك المملكة الآشورية الحديثة (٩١١ - ٦١٢ ق.م) علاقات واسعة ومتشعبة مع أقوام العالم القديم وممالكه الأخرى التي عاصرتهم . ولم تكن هذه العلاقات ذوات طابع واحد ، فمن المعلوم أن بعضها كانت قائمة على أساس تبعية جزء كبير من هذه الأقوام والممالك لسلطتهم في أغلب الأحيان ، بحكم اتساع سلطانهم الذي شمل في الغالب المناطق الممتدة من الخليج العربي جنوبا إلى جبال أرمينيا شمالا ومن شمال غرب إيران شرقا إلى البحر المتوسط غربا .

أما بعضها الأخر ، فغالبا ما كانت تقوم على أساس التساوي في المنزلة ما بين ملوك آشور وسائر الكيانات السياسية الأخرى المعاصرة لهم ، أي إنها كانت بشكل عام علاقات متكافئة .

وقد شكلت هذه الكيانات ، مثل مملكة اورارتو في أرمينيا وعيلام في جنوب غربي إيران ومصر وغيرها التحدي الأكبر أمام الملوك الآشوريين لدوام سلطتهم على المناطق آنفة الذكر . فكل واحدة منها عملت ما بوسعها لتقويض سيادتهم على منطقة أو أكثر من المناطق التابعة لهم ، في سبيل ضمها لنفوذها[١] .

ومن هنا فأخذ بحثنا على عاتقه دراسة علاقات ملوك المملكة الآشورية الحديثة مع المانائيين (Mannaeans) ، الذين ـ وكما سيتضح في أثناء البحث ـ تأرجحوا ما بين الخضوع لسطوتهم حينا والوقوع تحت دائرة نفوذ بعض منافسيهم حينا آخر ، لا تقتصر أهميتها على كشف تفصيلات هذه الأمور وغيرها من حيثيات العلاقة بين الطرفين فحسب ، بل وتبرز صورة من صور المنافسة الحادة التي واجهت أولئك الملوك أيضا من القوى الخارجية المتنفذة على المناطق الخاضعة لسلطانهم ، وما كان يتمخض عنها أحيانا من زعزعة نفوذهم على هذه المناطق . كما تقدم هذه الدراسة في الوقت نفسه أنموذجا عن الخطوط العامة للصلات التي ربطتهم بالقوى التابعة لهم ، فالملامح الرئيسة لهذه الصلات تكاد إن تكون متشابهة.

ولذلك فالدوافع الرئيسة لاختيار هذا الموضوع ، تتمثل في رغبة الباحث في تقديم دراسة مستفيضة وشاملة عن أوجه العلاقة ما بين طرفيها كافة ، وما كانت تواجهه من تحديات خارجية جسيمة وما خلفته هذه التحديات من تأثيرات على مسارها . كما يهدف البحث ضمنا وعلى وفق ما تقدم في أعلاه ، للتعرف بالأطر العامة لشكل العلاقة وطبيعتها ما بين ملوك آشور في عهد مملكتهم الحديثة والكيانات السياسية الخاضعة لسيادتهم .

قسم البحث إلى ثلاثة محاور ، وقد درس المحور الأول نبذة موجزة عن المانائيين ، ضمناها خلاصة ما توفر عندنا من معلومات حولهم ومما لم يتم ذكره أو التركيز عليه في محوري البحث اللاحقين ، وذلك لتقديم فكرة عامة للقارئ عنهم . أما المحور الثاني ، فتطرق إلى علاقة ملوك المملكة الآشورية الحديثة الأولى (٩١١ ـ ٧٤٥ ق.م) مع المانائيين ، فيما خصص المحور الثالث والأخير لمعالجة علاقة ملوك المملكة الآشورية الحديثة الثانية (٧٤٥ ـ ٦١٢ ق.م) مع المانائيين .

أولا : نبذة موجزة عن المانائيين

ينتمي المانائيون إلى العائلة الاسيائية ، أو ما اصطلح على تسميتها (zagro – elamite) ، التي ينتمي إليها كل من الكاشيين والكوتيين واللولوبيين أيضا[٢] . وقد ورد ذكرهم لأول مرة في النصوص المسمارية المكتشفة ، وأقدمها نص الملك الآشوري آشور ـ ناصربال الثاني (٨٨٣ ـ ٨٦٠ ق.م) الذي يعود إلى سنة حكمه الأولى[٣] ، أي إلى أواخر العقد الثاني من القرن التاسع قبل الميلاد .

وتحدد منطقة سكناهم في المنطقة الواقعة جنوب بحيرة أورمية بين بلاد آشور ومقاطعات ميديا[٤] ، أو فيما يعرف حاليا كردستان الإيرانية[٥] ، في شمال غرب إيران[٦] .

ويتضح من أحد نصوص الملك الآشوري شيلمنصر الثالث (٨٥٩ ـ ٨٢٤ ق.م) أنهم بلغوا في أثناء عهده درجة عالية من التنظيم السياسي ، بحيث انتظموا آنذاك في ظل مملكة واحدة في المنطقة المذكورة وعاصمتها زيرتا(Zirta)[٧] ، او ازيرتو (Izirtu) بناء على ما جاء في نصوص آشورية أخرى[٨] . وهي تقع على بعد ٥٠ كم إلى الشرق من مدينة ساكز الحالية[٩] .

ومما ورد في النصوص الآشورية أيضا ، يلاحظ أن النظام الملكي عند المانائيين كان وراثيا ، ينتقل فيه الحكم عادة من الملك بعد وفاته إلى ابنه البكر ، ويعين الأخير كوريث للعرش من والده الملك[١٠] .

ولكن هناك ما يفيد أن وراثة العرش عندهم قد انتقلت ذات مرة إلى أخ الملك المتوفى بدلا من نجله ، إذ تولى اولوسونو(Ullusunu) الحكم خلفا لشقيقه ازا (Aza) ، الذي قتل في تمردا داخلي[١١] . وربما يعود ذلك إلى أن ازا لم يكن عنده ولد مؤهل ليرث عرشه ، او لكونه لم ينجب أبناء أصلا ، أي إن هذا الأمر كان حالة استثنائية . فالقاعدة العامة التي قامت عليها مسألة توريث الحكم عند المانائيين وتقدم ذكرها ، تقضي بإسناد العرش إلى أكبر أبناء الملك السابق .

ويبدو من أصناف الجزية التي قدمها المانائيون إلى ملوك آشور ، أنهم اعتمدوا في حياتهم الاقتصادية على الثروة الحيوانية بالمقام الأول ، إذ شكلت الاخيرة ـ ولاسيما الخيول والأغنام ـ أهم موارد هذه الجزية، كما سيتضح لاحقا . ولا ريب إن ذلك يعود لتوافر المراعي الخصبة في أماكن استقرارهم ويعكس نمط حياتهم البدوية بالدرجة الأساس أيضا .

وبالنظر إلى أن بلادهم تعد إحدى المنافذ الرئيسة لطرق التجارة الدولية القادمة من الهند والصين قديما[١٢] ، فمن المرجح أنهم أسهموا بصورة او بأخرى بالنشاط التجاري أيضا .

ومن غير المستبعد أنهم اشتهروا كذلك ببعض الصناعات ، فمن جملة ما تضمنته الجزية التي قدموها إلى آشور ـ ناصربال الثاني ، كانت الخمور والأواني البرونزية [١٣] .

ثانيا ـ علاقة ملوك المملكة الآشورية الحديثة الأولى مع المانائيين

إن أقدم شارة تتحدث عن اتصال الملوك الآشوريين بالمانائيين ، تعود إلى عهد آشور ـ ناصربال الثاني (٨٨٣ ـ ٨٦٠ ق.م) . فمن جملة الإحداث التي ذكرها الأخير عن مجريات حملته الأولى ، التي وقعت سنة ٨٨٣ ق.م واستهدفت المناطق الشرقية والشمالية الشرقية[١٤] ، أشار إلى تلقيه الجزية من المانائيين في أثناء وجوده آنذاك في مقاطعة كيروري[❖] . وهي عبارة عن خيول وبغال وثيران وأغنام ، فضلا عن الخمور والأواني البرونزية كما تقدم[١٥] .

ومن الملاحظ أن الملك الآشوري لم يتحدث عن قيامه في تلك الحملة بغزو المانائيين والاصطدام بهم ، مما يعني أن دفعهم الإتاوات له جاء على خلفية انتصاراته الكاسحة التي حققها آنذاك على الأقوام القاطنة في هذه المناطق[١٦] . ومن الطبيعي أنه صاحب ذلك إقرارهم بالخضوع له أيضا .

وعلى الرغم من أن آشور ـ ناصربال الثاني ، لم يتحدث في نصوصه التالية عن تلقيه الجزية من المانائيين ثانية [١٧] ، فمن المنطقي القول إنهم واظبوا على إرسالها إليه طيلة سني حكمه اللاحقة ، فلو أنهم توقفوا عن ذلك ولو لمرة واحدة طيلة هذه المدة ، لكان قد أرسل عليهم حملة عسكرية إعادتهم إلى رشدهم مجددا .

وهكذا يتضح أن آشور ـ ناصربال الثاني هو أول ملك آشوري كانت عنده علاقة مع المانائيين ، وقامت على أساس خضوعهم الطوعي لسلطته وتقديمهم الجزية له ، وذلك للأسباب والظروف المار ذكرها.

أما شيلمنصر الثالث (٨٥٩ ـ ٨٢٤ ق.م) فيبدو أن علاقته مع المانائيين استمرت حتى السنين الأخيرة من عهده على النحو الذي كانت عليه علاقة سلفه معهم ، ثم أعلنوا العصيان ضده آنذاك . فمما جاء في إحد نصوصه ، يتضح أنه وجه في السنة الثلاثين من حكمه (٨٢٩ ق.م) حملة عسكرية بقيادة الترتانو (دايان ـ آشور) ضد المانائيين بهدف إخضاعهم ، وإن قوات الحملة عندما اقتربت من وسط مملكتهم ، فر ملكهم أولكي (Ualki) من عاصمته زيرتا إلى الجبال لينجو بحياته . فطاردته القوات الآشورية ((وجلبت منه الماشية وأغنامه وممتلكاته التي لا تحصى وقد حطمت ودمرت وأحرقت بالنار مدنه))[١٨] .

ومن خلال هذا النص يظهر أن شيلمنصر الثالث هو أول ملك آشوري اجتاح أراضي المانائيين واستخدم القوة المفرطة ضدهم ، لإجبارهم على الإذعان لسلطته ودفع الجزية له مجددا .

والحقيقة إن سعي شيلمنصر الثالث لإعادة إخضاع المانائيين ، لم يكن لما تقدم في أعلاه فحسب. فقد أشير إلى أن منطقة جنوب بحيرة أورمية ، التي تشكل أراضي ماناي جزءا رئيسا منها ، كان يمر عبرها إلى بلاد آشور طرق التجارة القادمة من الهند والصين[١٩] ، أي إن الملك الآشوري كان يهدف من وراء مساعيه تلك الى الإمساك بإحدى الممرات الحيوية لهذه الطرق أيضا . وهذا ما يمكن عده دافعا آخر للجهود الحثيثة التي بذلها ملوك آشور اللاحقين لبسط سيادتهم على بلاد ماناي أيضا ، تلك الجهود التي سنعرض لها تباعا بالتفصيل .

وعودة إلى تتبع موضوع البحث ، فلم تدم تبعية المانائيين لشيلمنصر الثالث مدة طويلة . فالاضطرابات التي عمت بلاد آشور أواخر حكمه واستمرت حتى بداية عهد ابنه شمشي ـ ادد الخامس (٨٢٣ ـ ٨١١ ق.م)[٢٠] ، أدت إلى نشوب حركات تمرد واسعة ضد الآشوريين في الأجزاء الشمالية والشرقية لمملكتهم[٢١] . ويرجح أن المانائيين كانوا من جملة الأقوام الشرقية التي خرجت عن الطاعة الآشورية آنذاك .

ولكن ما إن بسط شمشي ـ ادد الخامس سيادته على بلاده وأعاد الهدوء والاستقرار إليها ثانية[٢٢] ، وشرع بعد ذلك بحملات عدة لفرض سيطرته على الممالك المتمردة في الشمال والشرق[٢٣] ، حتى سارع المانائيون للاستسلام على ما يبدو ، إذ يحدثنا شمسي ـ ادد الخامس في إخبار حملته الثالثة سنة ٨٢٠ ق . م

التي وجهها لإخضاع المناطق الشرقية ، عن تسلمه الخيول كجزية من المانائيين ، من دون الإشارة إلى أي معركة خاضها ضدهم وأجبرتهم على ذلك[٢٤] .

ويبدو أن المانائيين ، وعلى غرار الكثير من القوى والكيانات السياسية الأخرى التابعة للآشوريين ، تمردوا على الملك الآشوري ادد ـ نيراري الثالث (٨١٠ ـ ٧٨٣ ق.م) أيضا . فمن جملة الأقوام والممالك ، التي أكد الأخير إخضاعه لها ، يرد اسم المانائيين[٢٥] .

ولعل تمردهم هذا حدث في بداية عهد ادد ـ نيراري الثالث ، وكنتيجة على ما يبدو لصغر سن الملك الآشوري آنذاك[٢٦] ، وللضغط الذي مارسته مملكة اورارتو عليهم أيضا ، إذ إن اورارتو تنافست مع الآشوريين للسيطرة على المنطقة الكائنة جنوب بحيرة أورمية منذ السنوات الأخيرة من حكم شيلمنصر الثالث[٢٧] . وذلك للهيمنة على طرق التجارة الدولية القادمة من الهند والصين وتمر عبر هذه المنطقة[٢٨] .

وعلى إي حال ، فنتيجة لفترة الضعف الأولى التي انتابت المملكة الآشورية الحديثة ما بين عامي (٧٨٢ ـ ٧٤٥ ق.م)[٢٩] ، أصبح المانائيون خاضعين لنفوذ اورارتو السياسي[٣٠] ، مثلهم مثل شعوب منطقة جنوب بحيرة أورمية الأخرى ، التي انتزع الاورارتيون سيادتها من الآشوريين في تلك الفترة أيضا[٣١] .

وهذا يعني أن الملوك الآشوريين ابتداءا من شيلمنصر الرابع (٧٨٢ ـ ٧٧٢ ق.م) ومرورا بآشور ـ دان الثالث (٧٧١ ـ ٧٥٤ ق.م) وانتهاء بآشور ـ نيراري الخامس (٧٥٣ ـ ٧٤٦ ق.م)[٣٢] لم تكن عندهم أي سلطة على المانائيين .

ثالثا ـ علاقة ملوك المملكة الآشورية الحديثة الثانية مع المانائيين

أدى الانقلاب الذي حصل في بلاد آشور ضد آشور ـ نيراري الخامس عام ٧٤٦ ق.م ، إلى اعتلاء العرش الآشوري الملك تجلات ـ بيلاسر الثالث (٧٤٥ ـ ٧٢٧ ق.م)[٣٣] ، الذي عد مؤسسا للمملكة الآشورية الحديثة الثانية (٧٤٥ ـ ٦١٢ ق.م) ، أو ما يعرف بالإمبراطورية الآشورية الحديثة الثانية أيضا[٣٤] . وقد نجح تجلات بيلاسر ـ الثالث خلال سنوات حكمه في فرض سيطرته على المناطق كافة التي كانت تابعة لبلاده في الفترة السابقة ، بل ووسع من رقعتها[٣٥] .

وبخصوص المانائيين ، فقد أدت انتصاراته الباهرة التي حققها في حملته الأولى على الأقاليم الشرقية سنة ٧٤٤ ق.م[٣٦] ، إلى أن يذهب ملك ماناي (Manai) ارانزو (Iranzu) في العام نفسه إلى بلاد آشور حاملا له الجزية ومعلنا خضوعه[٣٧] ، إي إن المانائيين عادوا مرة أخرى للمظلة الآشورية وبصورة سلمية أيضا ، بل إنهم حافظوا لاحقا على ارتباطهم السياسي بتجلات ـ بيلاسر الثالث وخلفه شيلمنصر الخامس (٧٢٦ ـ ٧٢٢ ق.م) ، إذ لا يوجد ما يشيرإلى عكس ذلك .

ومما ساعد على هذا الضربة الموجعة التي وجهها تجلات ـ بيلاسر الثالث لمملكة اورارتو في حملته ضدها سنة ٧٣٥ ق.م ، إذ إن هذه الحملة التي أسفرت عن توغل الملك الآشوري في أراضي اورارتو

واجتياحه لعاصمتها تورشيبا[٣٨] ، جعلتها لا تثير أي اضطرابات ضد الآشوريين حتى السنين الأولى من حكم الملك الآشوري سرجون الثاني (٧٢١ - ٧٠٥ ق.م)[٣٩] .

والجدير بالذكر في هذا الخصوص أن خسارة اورارتو لنفوذها على مملكة ماناي شكل ضربة قوية لسياستها الرامية إلى بقاء الأخيرة بعيدة عن السيادة الآشورية ، لتكون حاجزا ما بينها وبين بلاد آشور[٤٠] ، فضلا عن كونه أدى إلى فقدانها السيطرة على أحد المنافذ المهمة للطرق التجارية الأنفة الذكر. ولذلك ما إن وجدت اورارتو نفسها على ما يبدو في وضع يمكنها من تحدي الآشوريين تارة أخرى بعد حملتهم الأخيرة ضدها ، حتى عادت إلى منافستهم على المناطق المانائية.

وقد تزامنت التطورات الأخيرة مع بداية عهد سرجون الثاني ، الأمر الذي القي بظلاله الثقيلة على علاقته بإتباعه المانائيين لسنوات عدة لاحقة . فقد جاء في أحد نصوص العام الثالث لحكمه (٧١٩ ق.م) ما يفيد أن الملك الاوراراتي روساس الأول (٧٣٤ - ٧١٤ ق.م) وحليفه حاكم مملكة زيكيرتو[*] (ميتاتي) ، كانا المحرضين على العصيان الذي نشب في اثنتين من المدن المانائية الرئيسة (شوندا هول ، دور دوكا) ضد ارانزو ، وقد أرسل ميتاتي قواته لدعم المتمردين[٤١] .

ومن الواضح أن ارانزو لم يكن بمقدوره حسم الموقف لصالحه ، مما دفعه لطلب المساعدة من سرجون الثاني[٤٢] ، الذي بادر للتدخل فورا ونجح في فتح هاتين المدينتين ، ومن ثم قام بتهجير سكانهما المتمردين إلى بلاد امورو[٤٣] ، الواقعة على نهر الاورنت (العاصي حاليا) في سوريا[٤٤] .

وخلال الأعوام الثلاثة التي تلت هذه الأحداث توفي ارانزو وتولى العرش محله ابنه ازا ، الذي نحا منحى والده في الخضوع للآشوريين[٤٥] ، بل إنه قدم حياته ثمنا لذلك منذ وقت مبكر من توليه الحكم . ففي سنة ٧١٦ ق.م نجح الملك الاوراراتي السالف الذكر وحليفه ميتاتي في إقناع بعض الزعماء المانائيين بالتمرد على ازا . وقد استطاع المتمردون قتله بمساعدة حلفائهم في معركة دارت رحاها على جبل اواش[*] ، ولم يدفنوا جثته ، ثم وضعوا أنفسهم تحت قيادة أحد قادة التمرد (باكداتي)[٤٦].

لم يعط سرجون الثاني أي فرصة للمتمردين لالتقاط أنفاسهم ، فسرعان ما تقدم بجيشه نحوهم لتدارك الموقف . ويبدو أنه نازلهم في المكان نفسه الذي قتلوا فيه ازا وحقق انتصارا حاسما عليهم ، إذ ذكر أنه قبض على باكداتي عند جبل اواش وقام بسلخ جلده وعرض جسده الدامي على هذا الجبل أمام أنظار المانائيين[٤٧] . وذلك لكي يثير الفزع في قلوبهم فلا يعاودوا التمرد[٤٨] . ومن ثم ـ وجريا على السياسة العامة لأسلافه في تبني الأسر الخاضعة لسلطتهم ودعمها ـ نصب الملك الآشوري على عرش ماناي شقيق ازا (اولوسونو) وجعل ((كل ارض المانائيين خاضعة له))[٤٩] .

غير أن اولوسونو سرعان ما وقع تحت تأثير جارته القريبة اوراوتو وحاول التخلص من سطوة الآشوريين بالاستعانة بها . ففي السنة نفسها التي اعتلى فيها العرش تمرد على سرجون الثاني وتحالف مع

روساس الأول . كما انه حرض جارتيه كارللا واللابريا[٥٠] ، الواقعتين شرق بحيرة أورميا[٥١] ، على أن تحذوان حذوه في ذلك . فسارع الملك الآشوري لغزو الممالك المتمردة بقوة كبيرة واستعاد السيطرة عليها ثانية ومن بينها مملكة المانائيين ، التي احرق عاصمتها (ازيرتو) وقتل الكثير من مقاتليها[٥٢] ، مما يعكس شدة مقاومتها للقوات الآشورية .

ومع ذلك فعندما جاءه اولوسونو وممثلو شعبه وأعيانهم ليقدموا له فروض الولاء والطاعة ويلتمسوا العفو منه ، فقد بادر للصفح عنهم وأعاد اولوسونو إلى عرشه تارة أخرى . وعن ذلك يقول الملك الآشوري:((اجتمع اولوسونو الماني وكل أرضه سوية كرجل واحد وجثوا عند قدمي . رأفت بهم . غفرت لاولوسونو عدوانه ووضعته على العرش الملكي))[٥٣] .

ومن المرجح أن موقف سرجون الثاني المتسامح مع المانائيين وعلى رأسهم حاكمهم اولوسونو ، وما سبقه من عدم تدخل اورارتو للتصدي لهجومه على حلفائها ومن بينهم سكان ماناي ـ إذ لا يوجد ما يشير إلى خلاف ذلك ـ دفعت اولوسونو لفك ارتباطه تماما مع روساس الأول وتعزيز علاقته بأسياده الآشوريين.

ومما يدلل على ذلك أن الملك الاورارتي وبعد الأحداث الأخيرة مباشرة ، بدأ بالضغط عسكريا على حليفه السابق (اولوسونو) وإحاكة الدسائس والمؤامرات ضده . فلم يمض سوى عام واحد على هذا (أي في سنة ٧١٥ ق.م) ، حتى أقدم روساس الأول على غزو بلاد المانائيين واستولى على أكثر من عشرين حصنا من حصونها[٥٤] . ويرجح أنه نجح في تحقيق ذلك بالتعاون مع (دياكو)[٥٥] ، الذي عده الملك الآشوري أحد الزعماء المانائيين ، إذ إن دياكو استجاب لتحريض روساس ضد اولوسونو وأرسل له ابنه كرهينة[٥٦] ، للبرهنة على ولائه وليطمئنه على أنه يعمل في صفه[٥٧] .

وبالنظر إلى أن اولوسونو لم يكن باستطاعته مجابهة هذه التحديات بمفرده ، فقد تدخل سرجون الثاني على الفور وانتزع هذه الحصون كافة من قبضة الاورارتيين ، وأعاد ((الهدوء إلى ارض المانائيين))[٥٨] . أما دياكو ، الذي وقع قي أثناء ذلك بقبضة الآشوريين ، فعاقبه الملك الآشوري بالنفي مع إفراد أسرته إلى حماة[٥٩] .

غير أن ما يلفت الانتباه هنا إلى أن سرجون الثاني لم يعد الحصون المذكورة إلى المانائيين وضمها لبلاد آشور. كما وكشف في أحد نصوصه ، التي تعود إلى سنة ٧١٤ ق . م ، عن أنه ومنذ سنوات مضت كان يخطط للانتقام من اولوسونو وأن الأخير كان على علم بذلك[٦٠] .

وهذا كله يعطي انطباعا لدى الباحث بأن الملك الآشوري ما زال يحقد على اولوسونو وحكام المقاطعات التابعة له ولا يثق بهم لتزعمهم التمرد ضده . ولم يكن عفوه عن اولوسونو وإعادته إياه إلى منصبه السابق إلا في الظاهر فقط ولضرورة سياسية ، لعلها تمثلت حينها بسعيه لاحتواء المانائيين وتهدئة

ثائرتهم ولقطع الطريق على اورارتو لاستمالتهم مجددا أيضا ، فهو ما زال يضمر الشر له . ولكنه ربما تريث في التخلص منه حتى تسنح الفرصة المناسبة للقيام بذلك .

على أن ذلك لا يعني تخلي سرجون الثاني عن مسؤولياته في حماية مملكة المانائيين كونها إحدى المناطق التابعة له ، فحملته سنة ٧١٤ ق.م على مملكة اورارتو المعروفة بالحملة الثامنة[٦١] ، كان أحد أسبابها الرئيسة وضع حد نهائي لتدخلاتها في شؤون المانائيين[٦٢] .

وبالمقابل فإن اولوسونو ، الذي كان على دراية تامة بنيات الملك الآشوري تجاهه ، نجده وحال اقتراب الأخير في بداية حملته على اورارتو من قلعة سينيهينو المانائية ، يتوجه فورا من عاصمته (ازيرتو) وبصحبته عائلته وحاشيته وسائر وجهاء مملكته إلى القلعة المذكورة للترحيب به وليقدم له جزيته المتكونة من الخيول والمواشي والأغنام . كما أنه قام بتقبيل قدميه[٦٣] ، تعبيرا عن الخضوع التام له .

وزيادة على ذلك ، فعندما توجه سرجون الثاني بعد هذه الأحداث مباشرة إلى بلاد فارس (بارسوا) وعاد منها إلى أراضي ماناي ثانية ، فقد هرع اولوسونو مع كبار أعوانه وحشد كبير من رعيته لاستقباله في حصن سيرداكو وهو يحمل له جزيته ، التي على غرار سابقتها شملت الخيول والمواشي ولأغنام أيضا . كما أنه جمع لهذه المناسبة في الحصن المذكور حكام الأقاليم المجاورة التابعة للآشوريين أيضا . وقام كذلك بتزويد القوات الآشورية بالمؤن والأغذية لدى مكوثها في هذا الحصن لبعض الوقت[٦٤] .

ويبدو أن سعي زعيم الماناي لترتيب وراثة عرشه والتحديات الداخلية والخارجية الجسيمة التي كان يواجهها ، كانت أسباب أخرى دفعته لإظهار ولائه التام لسرجون الثاني . ففي أثناء لقاء الرجلين في حصن سيرداكو ، قدم اولوسونو ابنه البكر إلى الملك الآشوري ليحظى بموافقته كوريث لعرش ماناي من بعده . كما التمس منه أن يساعده في التخلص من خصومه في الداخل . ووجه مع كبار رجالات دولته ووجهائها أيضا نداء له للمساعدة في تحقيق الأمن والاستقرار في مملكتهم وإعادة من تشرد منها إلى مسكنه ، فضلا عن التدخل لوضع حد لخطر روسا (روساس الأول) على بلادهم واحتلاله لبعض مناطقها الحدودية[٦٥] . وهذا ما يشير إلى أن الملك الاورارتي عاود نشاطه التوسعي على حساب المانائيين .

ومن الواضح أن مواقف زعيم ماناي تلك وكبار أعوانه قد أزالت ما في نفس سرجون الثاني من مشاعر الغضب والكراهية لهم وأكسبتهم ثقته إلى حد ما . ففضلا عن كونه صرح بأنه أشفق عليهم وصفح عنهم ووعد بتحقيق مطالبهم كافة ، فعندما انتزع من اوررراتو مقاطعة اوشدش[*] المانائية في أثناء حملته المذكورة ضدها ، أعادها إلى اولوسونو[٦٦] .

وعلى صعيد متصل ، ألمح سرجون الثاني إلى أن حملته تلك كان لها الدور الحاسم في تقويض تهديد اورارتو لبلاد المانائيين ، إذ قال وهو يستعرض جزء من نتائجها : ((منعت الأقدام الخبيثة للعدو (أي اورارتو) عن أرض المانائيين وأفرحت قلب اولوسونو سيدهم))[٦٧] .

وقد أكدت الوقائع التالية حقيقة ذلك ، إذ لم نعد نسمع لاحقا عن أي محاولة كانت من جانب الاورارتيين لمنازعة الآشوريين السيادة على المناطق المانائية ، على عكس ما كان عليه الحال في السابق .

ومما يشار في هذا الخصوص إلى أن الضربات القوية التي تلقتها اورارتو من الكيميريين(*) أيضا ، على اثر حملة سرجون الثاني الأخيرة ضدها(٦٨) ، كانت عاملا مهما آخرا في إضعافها ، مما جعلها من ثم في وضع لا تستطيع به إيذاء المصالح الآشورية على حد تعبير الأستاذ هاري ساكز(٦٩) ، أي ترتب على ذلك من جملة ما ترتب تسليم الاورارتيين تماما بالسيطرة الآشورية على المملكة المانائية .

يكتنف الغموض طبيعة علاقة الملك الآشوري سنحاريب (٧٠٤ - ٦٨١ ق.م) مع المانائيين ، إذ لم يرد في المصادر ما يشير إلى ذلك . ولكن الأستاذ جورج رو يذكر بأن وصول الكيميريين للمناطق الشمالية الغربية من إيران بجوار المانائيين في مطلع عهد سنحاريب ، دفع المانائيون للتحالف معهم آنذاك(٧٠) .

وهذا يعني ضمنا خروجهم عن سلطة الملك الآشوري ، إذ إن الكيميريين كانوا منذ أواخر حكم سرجون الثاني من ألد أعداء الآشوريين . فقد حاولوا آنذاك التوسع على حساب ممتلكاتهم في بلاد الأناضول(٧١) . ويرجح أن سرجون الثاني لقي حتفه في أثناء تصديه لهم في منطقة تابال(*) ، بل ويعتقد أن الخراب المفاجئ الذي تعرضت له مدينة كالح الآشورية (نمرود حاليا) في ذلك الوقت ، كان نتيجة لغارة قام بها الكيميريون على المدينة(٧٢) .

والحقيقة أن ما ذكره الأستاذ رو أمر غير مستبعد ، فارتباط المانائيين سياسيا بالكيميريين ، أكده الملك الآشوري أسرحدون (٦٨٠ - ٦٦٩ ق.م) وإن لم يحدد تأريخه . ففي إحدى رسائله إلى معبوده شمش أشار إلى قيام ملك ماناي اخشيري (Akhsheri) بالتحالف مع الكيميريين(٧٣) .

فضلا عن ذلك ، أن النصوص الآشورية التي ضمت علاقة أسرحدون مع المانائيين ـ وسنأتي لعرضها وتحليلها ـ لا تعطي مجالا للشك بأن أسرحدون لم يتمتع بأي نفوذ عليهم بتاتا . وبما أنه لم يرد في هذه النصوص أو غيرها ما يشير إلى أن خروج المانائيين عن الطاعة الآشورية كان في أثناء سني حكمه ، فمن المحتمل جدا أنهم أقدموا على هذه الخطوة قبل عهده ، إي في أيام والده سنحاريب .

ولكن إذا كان الأمر على هذا النحو ، فلماذا لم يحاول سنحاريب إعادة بسط هيمنته على المانائيين ؟

إن إحجام سنحاريب عن التعرض لهم حسب رأينا ، يعود بالمقام الأول إلى إدراكه وتقديره لقوة حلفائهم الكيميريين . فإذا ما علمنا وبناء على ما جاء في إحدى رسائل الكاهن والمنجم البابلي بيل ـ اوشيزب (usezib - Bel) ، بأن أسرحدون كان مترددا عن القيام بحملة على المانائيين لإخضاعهم ، لخشيته من تدخل الكيميريين ضده(٧٤) ، فمن غير المستبعد أن امتناع سنحاريب عن التحرك ضدهم تماما كان لهذا السبب أيضا .

أما أسرحدون ، فابرز دليل على أن المانائيين لم يكونوا تابعين له أيضا ومنذ السنين الأولى لتوليه الحكم ، ما جاء في رسالة بيل ـ اوشيزب التي تم عرض مضمون نصها في أعلاه .

وقد مارست الأقوام التي استوطنت إيران في بداية حكم أسرحدون دورا كبيرا في ذلك . فقد أشير إلى أن الاسكيثيين(*) ، الذين تدفقوا آنذاك بجوار المانائيين ، اقتسموا النفوذ على أراضيهم مع الكيميريين(٧٥) . وهذا ما تفيد به إحدى رسائل أسرحدون للمعبود شمش أيضا ، إذ ورد فيها أن الاسكيثيين قد اجتاحوا ولايات ماناي واحتلوها(٧٦) .

ولم يقتصر الأمر عند هذا الحد ، إذ يستدل من الرسائل نفسها أيضا أن المانائيين تحالفوا مع حاكم مدينة كار ـ كاشي (كاشتاريتو) الإيرانية والكيميريين والميديين(*) في مهاجمة الحصون الآشورية الحدودية(٧٧) ، وقد استولى المينويون على اثنتين منها (دور ـ ايليل ، شارو ـ إكبي)(٧٨). ويرجح أن هذا الحلف بدأ في عام ٦٧٦ ق.م ولم ينجح الملك الآشوري في تشتيت شمله إلا في سنة ٦٧٢ ق.م(٧٩) .

لم يقف أسرحدون مكتوف اليدين إزاء خروج المانائيين عن السلطة الآشورية وانضمامهم لأعدائه في المناطق الشرقية في الاعتداء على حدود بلاده . فجزء مهم من نشاطاته العسكرية في المنطقة المذكورة خصصها لمحاولة ترويضهم ، إذ جاء في رسالة أخرى من رسائل بيل ـ اوشيزب ، ما يفيد بتوغل أسرحدون في أراضي المانائيين وسيطرته على الكثير من مدنهم ومعاقلهم . وقد أرجع صاحب الرسالة هذه الإحداث إلى العام الذي تلا حملة أسرحدون على صيدا(٨٠) ، أي إلى عام ٦٧٦ ق م(٨١) ، وهو العام الذي شهد تحالف المانائيين مع غيرهم من الأقوام الشرقية في مهاجمة الحدود الآشورية ، كما أسلفنا .

وفضلا عن ذلك ، كشف أسرحدون في أحد نصوصه عن معركة خاضها ضد المانائيين وادعى إلحاقه الهزيمة بهم وبقوات حليفهم أشباكي الاسكيثي الذي تدخل لنصرتهم ، إذ قال : ((أنا الذي بعثرت سكان ماني البرابرة العنيدين وقتلت في المعركة جنود أشباكي الاسكيثي الحليف الذي لم يتمكن من إنقاذهم))(٨٢) .

ومع أن النص في أعلاه لم يفصح عن تأريخ المعركة وظروفها ومكانها . ولكنها من المرجح أنها قد حدثت في سنة ٦٧٦ ق.م أيضا(٨٣) ، وعلى اثر الهجوم الذي شنه الملك الآشوري آنذاك ضد المانائيين في عقر دارهم .

ولكنه على الرغم من تلك الانتصارات التي أحرزها أسرحدون على المانائيين ، أو ادعى إحرازها ضدهم ، فمن الواضح أنه لم يفلح في إخضاعهم(٨٤) . ولا أدل على ذلك أن خلفه آشوربانيبال (٦٦٨ ـ ٦٢٧ ق.م) تحدث في حولياته عن حملة أرسلها عام ٦٦٠ ق.م ضدهم لإعادتهم للسيادة الآشورية تارة أخرى(٨٥) .

ومما جاء في أخبار هذه الحملة يتضح بأن القوات الآشورية قد استولت في بدايتها على عدد كبير من مدن ماناي بما فيها العاصمة ازيرتو . ومن ثم قامت بنهب الأخيرة وتدميرها ، مما اضطر ملك ماناي اخشيري للفرار إلى مدينة اشتاتي (Ishtatti) المحصنة ، التي هي الأخرى وقعت في قبضة الجيش الآشوري وطالها التدمير من قبلهم أيضا(٨٦) .

ولا يفصح الملك الآشوري في نصه هذا عن أي أنشطة عسكرية إضافية إلى القوات الآشورية ضد المانائيين ، وفيما إذا كانت قد انسحبت من مدنهم التي احتلتها ، أو استمرت مرابطة فيها لبرهة من الزمن.

ولكن أيا كان الأمر ، فالانتصارات التي حققتها قواته في أثناء هذه الحملة وما نتج عنها من خراب طال المدن المانائية الرئيسة كما تقدم ، كانت كافية على ما يبدو لجعل إتباع اخشيري وكبار رجاله يعون تماما حجم الكارثة التي حلت ببلادهم جراء سياسته المناوئة للآشوريين ، بل ويسعون لتدارك الموقف . فقد أفاد آشوربانيبال أن المانائيين وعلى إثر الهزائم المتوالية التي مني بها اخشيري أمام القوة الآشورية المهاجمة وتبعاتها المدمرة أيضا ، قاموا بالتمرد عليه وقتله . وأضاف أن أوالي (Ualli) الذي تولى العرش خلفا لوالده (اخشيري) سارع فورا للخضوع إلى سلطته ، إذ أرسل ابنه ارسيني (Erisinni) إلى نينوى وهو يحمل له الجزية ـ التي لم يكشف عن ماهيتها ـ مع ثلاثين حصانا ، فضلا عن بناته ليخدمن في قصره الملكي . فلقي فعله هذا قبول الملك الآشوري واستحسانه ، إذ ذكر أنه أشفق على أوالي وقبل السلام منه بعد أن فرض عليه جزية سنوية كان من بينها الخيول(٨٧) .

وبذلك حققت الحملة أهدافها وعاد المانائيون إلى الانضواء مجددا تحت راية آشور ، وعلى غرار ما كان عليه الحال في أيام تجلات بيلاسر الثالث وخلفيه (شيلمنصر الخامس ، سرجون الثاني) .

ولعل بقاء الاسكيثيين والكيميريين على الحياد في أثناء هجوم اشوربانيبال على ماناي ، يعود إلى أنهم فقدوا نفوذهم لسبب ما على الأخيرة في وقت سابق .

هذا إذا ما أخذنا أيضا في نظر الاعتبار الهزيمة القاسية التي انزلها أسرحدون بالزعيم الاسكيثي (أشباكي) وجنوده عندما حاولوا صد هجومه على حلفائهم المانائيين ، مما قدمنا ذكره ، وأنه (أي أسرحدون) ابرم معاهدة للسلام مع الزعيم الاسكيثي (بارتاتوا) أواخر عهده (٨٨) . ويرجح أنه دعم من أواصر هذه العلاقة بالموافقة على طلب بارتاتوا بالزواج من ابنته(٨٩) . وكان الكيميريون منذ أيام أسرحدون يدعون على ما يبدو الوقوف على الحياد في صراعه ضد المانائيين(٩٠) ، بل ولم يتدخلوا في أثناء قيامه بغزوهم على الرغم من أنه كان يخشى تدخلهم ، كما سبق وذكرنا .

وعودة إلى موضوعنا الرئيس ، فيبدو أن المانائيين حافظوا على ارتباطهم السياسي الفعلي بالآشوريين حتى السنين الأخيرة من عمر الملكة الآشورية الحديثة . فبالإضافة إلى أنه لا يوجد ما يشير إلى انقلابهم

على أي من ملوك آشور منذ خضوعهم لاشوربانيبال وحتى ذلك الوقت ، فإن مشاركتهم إلى جانب الجيش الآشوري في محاولته التصدي للهجوم الكلدي على مناطق الفرات الأعلى سنة ٦١٦ ق.م[٩١] ، تدل على بقائهم ملتزمين على الأرجح بالتبعية الكاملة للسلطة الآشورية طوال هذه المدة .

أما في السنوات الأربعة المتبقية من عهد مملكة آشور الحديثة ، فلا يعلم أكان المانائيون قد انفصلوا عن بلاد آشور ، أو استمروا تابعين لها ، وإن كنا نرجح الأحتمال الأول نظرا إلى التدهور الكبير الذي أصاب المملكة الآشورية في تلك السنين ، حيث أخذت المدن الآشورية تسقط آنذاك الواحدة تلو الأخرى بيد الكلديين وحلفائهم الميديين[٩٢] . ولكن من المؤكد أن المانائيين خضعوا للميديين بعد سقوط العاصمة الآشورية (نينوى) عام ٦١٢ ق.م [٩٣] .

الخاتمة

توصل بحثنا الموسوم ((علاقات ملوك المملكة الآشورية الحديثة (٩١١ - ٦١٢ ق.م) مع المانائيين)) إلى جملة من النتائج ، التي يمكن إجمالها بالنقاط الآتية :

١- ينتمي المانائيون إلى مجموعة شعوب العائلة الاسيائية ، وقد ظهروا لأول مرة على مسرح الأحداث في منطقة كردستان الإيرانية الحالية مطلع القرن التاسع قبل الميلاد . وفي منتصف هذا القرن تقريبا كونوا مملكة في المنطقة المذكورة ، استمرت قائمة حتى أصبحت جزءا من الإمبراطورية الميدية . وذلك على ما يبدو حال سقوط مملكة آشور الحديثة عام ٦١٢ ق.م .

٢- إن المعلومات المتوافرة في المصادر عن موضوع البحث ، تتناول فقط الجوانب السياسية في العلاقة ما بين ملوك المملكة الآشورية الحديثة والمانائيين . وقد اتضح أن آشور ناصربال الثاني هو أول ملك آشوري اتصل بالمانائيين ، إذ أجبرهم منذ بداية عهده على الخضوع ودفع الجزية له .

ومن ثم تأرجح المانائيون ما بين الخضوع لبقية أشهر ملوك المملكة الآشورية الحديثة الأولى (شيلمنصر الثالث ، شمشي ادد الخامس ، ادد نيراري الثالث) والتمرد على حكمهم . ولم يذعنوا قط لسلطة أي من ملوكها اللاحقين .

٣- أما علاقة ملوك المملكة الآشورية الحديثة الثانية مع المانائيين ، فقد مرت بثلاث مراحل . وتشمل الأولى الحقبة الواقعة ما بين عامي (٧٤٤ - ٧٠٥ ق.م) ، إي أنها غطت مدة حكم تجلات بيلاسر الثالث ، فضلا عن عهدي شيلمنصر الخامس وسرجون الثاني .

وباستثناء بعض حركات التمرد المانائية القصيرة الأمد في الشطر الأول من عهد سرجون الثاني وكانت بتحريض خارجي ، فقد تقيد المانائيون في أثناء هذه المرحلة بما كان يفرضه أولئك الملوك عادة من قيود التبعية الكاملة لسلطتهم على الشعوب والممالك الخاضعة لهم كافة . فطوال هذه المدة واظبوا بشكل عام على الاعتراف بسيادتهم ودفع الجزية السنوية لهم ، فضلا عن جعل سياستهم الخارجية مرهونة

بأوامرهم وتوجيهاتهم . كما أن أيا من ملوك ماناي آنذاك ما كان له أن يجلس على عرش مملكته إلا برضا ودعم منهم أيضا .

وبالمقابل إلتزم الملوك الآشوريون في هذه الحقبة إزاء الحكام المانائيين بما إلتزموا به من تعهدات تجاه سائر الحكام التابعين ، كتقديم الدعم اللازم لهم لمواجهة إي خطر داخلي أو خارجي يهددهم ، وتحقيق الأمن والاستقرار في مناطقهم وإبقاء حكمها في نسلهم من بعدهم .

أما المرحلة الثانية ، فتضم مدة حكم سنحاريب وابنه أسرحدون ، فضلا عن السنين الثمانية الأولى من سني حكم اشوربانيبال ، أي أنها امتدت ما بين عامي (٧٠٤ - ٦٦٠ ق.م) . وخلالها انسلخ المانائيون عن المملكة الآشورية تماما ، بل إنهم اعتدوا على الحدود الآشورية على مدى أربعة أعوام (٦٧٦ - ٦٧٢ ق.م) بالتحالف مع جملة من الأقوام المجاورة لهم .

وفي المرحلة الثالثة والأخيرة ، التي شملت ما تبقى من عمر المملكة الآشورية الحديثة تقريبا ، خضع المانائيون لسلطة الملوك الآشوريين آنذاك ، وعلى النحو الذي كان عليه خضوعهم لسلطة أسلافهم في أثناء المرحلة الأولى على الأرجح . وذلك نتيجة لحملة اشوربانيبال ضدهم سنة ٦٦٠ ق.م ، التي أسفرت حينها عن إعادتهم مجددا للارتباط الفعلي بالحكم الآشوري ، وما تلاها من عدم إخلالهم بهذا الارتباط وحتى عام ٦١٦ ق.م على أقل تقدير .

٤- أدت القوى الفاعلة ، التي كانت تطمح لمنافسة بلاد آشور على زعامة منطقة الشرق الأدنى القديم والإمساك بخطوط التجارة المارة عبرها ، دورا كبيرا في التأثير سلبا على علاقة الملوك الآشوريين بإتباعهم المانائيين .

وفي مقدمة هذه القوى مملكة اورارتو ، التي ربما كان لها يد في دفع المانائيين للتمرد على الآشوريين في أواخر حكم شيلمنصر الثالث وبداية عهد حفيده ادد - نيراري الثالث . وهي بالتأكيد من دفعتهم لذلك بعد وفاة الأخير ، إذ أصبح المينويون آنذاك خاضعين لنفوذها السياسي وحتى مطلع عهد تجلات بيلاسر الثالث ، كما مر بنا في أثناء البحث .

وفضلا عن ذلك فقد مر بنا كيف أن اورارتو عملت مرارا على تقويض النفوذ الآشوري على بلاد ماناي في أثناء حكم سرجون الثاني أيضا ، سواء كان ذلك بفردها أو بالتعاون مع حليفتها مملكة زيكيرتو . وكيف أنها لما فشلت في تحقيق مبتغاها هذا شرعت أكثر من مرة آنذاك بغزو أراضي ماناي واحتلت أجزاءا منها .

وإذا كانت حملة سرجون الثاني الحاسمة ضد اورارتو سنة ٧١٤ ق.م وما تلاها من الضربات الكبيرة التي تلقتها الأخيرة من الكيميريين الأشداء ، قد أجبرتها على التسليم بالسيادة الآشورية على مملكة ماناي ، فإن أولئك الكيميريين حلوا في بداية حكم سنحاريب محل اورارتو في منازعة الآشوريين السيادة على

هذه المملكة ، بل إنهم دفعوا الأخيرة آنذاك على ما يبدو للتمرد على سنحاريب والدوران في فلكهم السياسي .

وفي مطلع عهد أسرحدون ، ظهر منافس آخر للآشوريين لا يقل شدة وقوة عن الكيميريين . ونعني بهم الاسكيثيين ، الذين تقاسموا مع الكيميريين في ذلك الوقت النفوذ على بلاد المانائيين ، مما أعاق جهود أسرحدون إلى حد كبير لاستعادة السيطرة الآشورية على البلاد .

ولم يتسن لاشوربانيبال إخضاع المانائيين إلا بعد أن أصبحوا بمعزل عن دائرة النفوذ السياسي لهذين المنافسين الخطيرين .

٥ـ أبدى ملوك آشور ردود فعل متباينة إزاء خروج المانائيين بين حين وآخر على سلطانهم وانحيازهم لصالح القوى الخارجية المنافسة لهم . ففريق منهم لم يحرك ساكنا إما لضعفهم مثل الملوك الذين حكموا ما بين عامي (٧٨٢ ـ ٧٤٥ ق.م) ، أو خشية على ما يبدو من حلفاء المانائيين (الكيميريين) على غرار سنحاريب .

وفريق آخر(ويمثله شيلمنصر الثالث وسرجون الثاني واشوربانيبال) كانت ردة فعله عنيفة إزاء ذلك ، إذ وجدنا أنهم دمروا وأحرقوا مدن ماناي الرئيسة ، بل أضاف سرجون الثاني إلى ذلك ، تهجيره للمتمردين منهم إلى أماكن بعيدة عن بلادهم أيضا ، وبث الرعب في قلوب سكان ماناي عامة من خلال تعليق جثث زعمائهم المتمردين أمام أنظارهم وقد فصلت الجلود عنها.

ولم تكن هذه الردود بمجملها في الحقيقة بقصد الانتقام من المانائيين ، بقدر ما كانت وسائل يراد منها إجبارهم على الاستسلام والإقلاع عن التفكير ثانية بالعصيان والاستقواء بالخارج . كما أنها تمثل النهج العام الذي درج على نهجه أولئك الملوك أيضا وغيرهم من ملوك المملكة الآشورية الحديثة إزاء الكيانات السياسية المتمردة الأخرى ، التي تصر على مقاومتهم ولا يتم إعادتها ثانية إلى الطاعة الآشورية إلا بالقوة ، ومن بينها التي تمردت بتحريض ودعم خارجيين .

وبين هؤلاء وأولئك صدر من فريق ثالث منهم (ويمثله شمشي ادد الخامس وادد نيراري الثالث وتجلات بيلاسر الثالث) ردود فعل متعقلة في التعامل مع هذه المشكلة . فقد رأينا كيف أنهم كانوا يقتنعون بالعودة السلمية للمانائيين إلى سلطتهم ، فلا يتخذون ضدهم إي إجراء تعسفي . وزيادة على هذه الردود عفو سرجون الثاني عن اولوسونو وإتباعه خروجهم على طاعته وتحالفهم ضده مع اورارتو أيضا .

والحقيقة أن ردود الأفعال تلك تمثل النهج العام الذي انتهجه ملوك المملكة الآشورية الحديثة في التعامل مع الأقوام والممالك المتمردة كافة أيضا ، التي تخضع لسلطتهم قبل فتحهم لمناطقها بالقوة ، ومن بينها التي تمردت بتأثير خارجي .

٦ـ لم تجد نفعا لا القسوة التي تعامل بها بعض ملوك آشور مع المانائيين ولا المرونة التي تعامل بها البعض الآخر منهم ، في إبقائهم خاضعين على الدوام للآشوريين . فكلما لمسوا ضعفا من أولئك الملوك لسبب ما ، أو ظهرت قوة منافسة لهم في منطقة الشرق الأدنى القديم ، سارعوا لإعلان الاستقلال ، أو الانحياز لهذه القوة والانضواء تحت رايتها .

ولا ريب أن موقفهم الأول يعكس تطلعهم لنيل الحرية والتخلص من قيود التبعية الثقيلة للسلطة الآشورية ، فيما يعزى موقفهم الثاني والأخير لإنتفاء قدرتهم على مجابهة القوى المنافسة للآشوريين ، ولاسيما إذا أحسوا بأن ملوك آشور قد أصبحوا في وضع لا يمكنهم من التحرك ضد هذه القوى وكبح جماحها ، أو لم تكن عندهم القدرة الكافية للقيام بذلك .

ABSTRACT

This research studies the relation of kings of late Assyrian kingdoms(911 – 612 BC) with the Mannaeans. The research is made of three parts in addition to the introduction and the conclusion. Part one is to give a brief review of the Mannaeans. Parts two and three are devoted to show the relation of those kings of the first and second late Assyrian kingdom with the Mannaeans.

The research showed that the Mannaeans belonged to the people of the Asiaie family who lived south of Aromia lake , known nowadays as Iranian Kurdstan . Assyr Nassir bal , the second(833 – 860 BC) was the first Assyrian king who had relations with the Mannaeans based on subjecting them to his power at the beginning of his era . Then , the Mannaeans were either partially or fully subjected to the rule of the Assyrian kings and sometimes they were out of the control of those kings . that situation continued till 660 BC i.e. till they were subjected again by Assyr Banibal (668 – 627 BC). After that they kept on their political link do the Assyrians till the end of the late Assyrian kingdom . Often , their mutiny on the Assyrian authority occurred because of foreign forces particularly Urrtu in Armenia .

It was also shown that Assur kings differ in their reaction to the disobedience of the Mannaeans from time to time . Some of those kings did nothing and some reacted violently towards that while other treated the problem wisely and even forgave the mutinous Manai rulers and their followers in return of their coming back to the Assyrian sovernity.

هوامش البحث

١) للمزيد من التفصيلات عن التحديات الخارجية التي واجهها ملوك المملكة الآشورية الحديثة ، ينظر : سليمان ، عامر ، العراق في التاريخ القديم ، ج١ ، الموصل ، ١٩٩٢ ، ص ص٢٢٠-٢٢١ .

٢) زايد ، عبدالحميد ، الشرق الخالد ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ١٩٦٦ ، ص ص٥٦١،٥٦٢.

٣) حول نص آشور ـ ناصربال الثاني الذي ورد فيه ذكر المانائيين لأول مرة ، يراجع :

Lukenbill , D.D. , Ancient Records of Assyria and Babylonia , New York ,1968 , vol

.1,No.440.

٤) ساكز ، هاري ، عظمة بابل ، ترجمة خالد أسعد وأحمد غسان ، ط١ ، دار ارسلان ، دمشق ، ٢٠٠٨ ، ص١٣٣ .

٥) زايد ، عبدالحميد ، المصدر السابق ، ص٥٧٨ ؛ سليم ، أحمد أمين ، دراسات في تأريخ الشرق الادنى القديم ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٨٩ ، ص٤٩٣ .

٦) ساكز ، هاري ، عظمة آشور ، ترجمة خالد أسعد وأحمد غسان ، ط١ ، دار ارسلان ، دمشق ، ٢٠٠٨ ، ص١٢٥.

٧) Luckenbill,D.D.,op.cit,vol.l,No. 587

٨) Ibid,vol.11,Nos.10,786

٩) زايد ، عبدالحميد ، المصدر السابق ، ص٥٦٣ .

١٠) للاطلاع على النصوص الآشورية التي أشارت إلى النظام الملكي عند المانائيين ، ينظر :
Luckenbill,D.D.,op.cit,vol.ll,Nos.10,148,786

١١) Ibid,vol.11,Nos.10

١٢) ساكز ، هاري ، عظمة بابل ، ص١١٩؛ ساكز ، هاري ، عظمة آشور ، ص١٢٥ .

١٣) Luckenbill,D.D.,op.cit,vol. l,No p.440

١٤) Olmstead,A.T.,History 0f Assyria , University of Chicago, 1960, p.84

❖) وتعرف بسهل حرير في الوقت الحاضر ، وتقع في الجزء الشمالي الشرقي من العراق في محافظة أربيل ، يراجع : الراوي ، شيبان ثابت ، ، آشور ـ ناصربال الثاني (٨٨٣ ـ ٨٥٩ ق.م) سيرته وإعماله ، رسالة ماجستير غير منشورة ، بغداد ، ١٩٨٦ ، ص٨٢-٨٣ .

١٥) Luckenbill,D.D.,op.cit,vol. l,No p.440

١٦) حول النتائج الايجابية التي حققها آشور ـ ناصربال الثاني في بداية حملته الأولى ، ينظر :
Luckenbill,D.D.,op.cit,vol. l,No.440.

١٧) للإطلاع على نصوص آشور ـ ناصربال الثاني التي تلت نص حملته الأولى ، يراجع:
Ibid,vol.1,Nos.444-552

١٨) Ibid,vol.1,No.587

١٩) ساكز ، هاري ، عظمة آشور ، ص١٢٥ .

٢٠) وقد حدثت هذه الاضطرابات التي اجتاحت بلاد آشور آنذاك على خلفية التمرد الذي قاده احد أبناء شيلمنصر الثالث (آشور ـ دانين ـ أبلي) ضد والده وشقيقه شمشي ـ ادد الخامس وساندته فيه معظم المدن الآشورية ، للمزيد من التفصيلات ، ينظر : Luckenbill,D.D.,op.cit,vol. l,No.715رو ، جورج ، العراق القديم ، ترجمة وتعليق حسين علوان ، مراجعة فاضل عبدالواحد ، بغداد ، ١٩٨٤ ، ص٤٠٣-٤٠٤ ؛ ساكز ، هاري ، عظمة آشور ، ص١٠٥ .

٢١) رو ، جورج ، المصدر السابق ، ص٤٠٤ .

٢٢) باقر ، طه ، مقدمة في تأريخ الحضارات القديمة ، ج١ ، ط١ ، بغداد ، ١٩٧٣ ، ص٥٠٤،٥٠٥ ؛ ساكز ، هاري ، عظمة آشور ، ص١٠٥ .

٢٣) ساكز ، هاري ، عظمة بابل ، ص١٢٠-١٢١ . وحول حملات شمسي ـ ادد الخامس على المناطق الشمالية والشمالية الشرقية ، يراجع : Lukenbill , D.D. , op.cit , vol.l , Nos .716-721

٢٤) للإطلاع على الحملة الثالثة لشمشي ـ ادد الخامس ونتائجها ، ينظر :
Luckenbill,D.D.,op.cit,vol. l,No.718

٢٥) Ibid,vol.1,No.739

٢٦) فإحدى نقوش ادد ـ نيراري الثالث تكشف انه لم يصعد إلى العرش الآشوري إلا في السنة الخامسة من تسميته ملكا ـ إي انه كان قبل ذلك ما زال قاصرا ـ الأمر الذي يشير إلى إن والدته (سامو رامات) تولت الوصاية على العرش طوال هذه المدة ، يراجع : ساكز ، هاري ، عظمة بابل ، ص١٢٢ .

٢٧) ساكز ، هاري ، عظمة آشور ، ص١٠٩.

٢٨) ساكز ، هاري ، عظمة بابل ، ص١١٩.

٢٩) للإطلاع على فترة الضعف الأولى التي عاشت فيها المملكة الآشورية الحديثة ، ينظر :
Olmstead,A.T.,op.cit,pp.169-174

٣٠) رو ، جورج ، المصدر السابق ، ص٤٠٧ .

٣١) ساكز ، هاري ، عظمة آشور ، ص١١٠ .

٣٢) رو ، جورج ، المصدر السابق ، ص٤٠٦.

٣٣) ساكز ، هاري ، عظمة بابل ، ص١٢٤ .

٣٤) باقر ، طه ، المصدر السابق ، ج١ ، ص٥٠٨ ؛ سليمان ، عامر ، المصدر السابق ، ج١ ، ص٢١٥ .

٣٥) ساكز ، هاري ، عظمة بابل ، ص١٢٥؛ حسن ، سليم ، مصر القديمة ، ج١١، الهيئة العامة المصرية للكتاب ، ١٩٩٤ ، ص٤٦٢.

٣٦) حول الحملة الأولى لتجلات ـ بيلاسر الثالث ونتائجها، يراجع :
Luckenbill,D.D., op.cit ,vol. 1, Nos.766-768.

٣٧) Grayson, A.K.," Assyria: Tiglath-pileser 111 to Sargon 11(744-705 B.C.)" , CAH,Vol.111, part.2, (Cambridge,1991) ,p.80.

٣٨) للمزيد من التفصيلات عن حملة تجلات ـ بيلاسر الثالث على اورارتو عام ٧٣٥ ق.م ونتائجها ، ينظر:
Luckenbill,D.D., op.cit ,vol.11, No.785 ; Grayson, A.K., op.cit, CAH,Vol.111, part.2, p.76.

٣٩) ساكز ، هاري ، عظمة بابل ، ص١٣٦ .

٤٠) Chirshman , R., Iran , 1954,pp.95-96

(*) وهي مملكة ظهرت في بداية عهد سرجون الثاني في المنطقة الواقعة شرق بحيرة أورمية ، وقد أسسها المهاجرون الهندو أوربيون الذين نزحوا إلى إيران في مطلع الإلف الأول قبل الميلاد ، يراجع : ساكز ، هاري ، عظمة بابل ، ص١٣٢ .

٤١) Luckenbill,D.D., op.cit ,vol.11, No.6

٤٢) Olmstead, A.T., op.cit , p. 227

٤٣) Luckenbill,D.D., op.cit ,vol.11, No.6

٤٤) حتي ، فيليب ، تأريخ سوريا ولبنان وفلسطين ، ترجمة جورج حداد وعبدالمنعم رافق ، ج١ ، ط٢ ، بيروت ، ١٩٥٨ ، ص٧٦ .

٤٥) Olmstead, A.T., op.cit , p.227

(*) وهو من مجموعة جبال ساهند التي تقع شرق بحيرة اورمية ، ينظر : علي ، قاسم محمد ، سرجون الآشوري (٧٢١ ـ ٧٠٥ ق.م) ، رسالة ماجستير غير منشورة ، بغداد ، ١٩٨٣ ، ص٨٢ .

٤٦) Luckenbill,D.D., op.cit ,vol.11, No.10 ; Olmstead,A.T.,op.cit,p.227

حسن ، سليم ، المصدر السابق ، ج[١١] ، ص[٤٧٩] .

٤٧) Luckenbill,D.D., op.cit ,vol.11, No.10 ; Olmstead,A.T.,op.cit,p.227

٤٨) ساكز ، هاري ، عظمة آشور ، ص[٣٧٦] .

٤٩) Luckenbill,D.D., op.cit ,vol.11, No.10

٥٠) Ibid,vol.1,No.10

٥١) علي ، قاسم محمد ، المصدر السابق ، ص[٨٢] .

٥٢) Luckenbill,D.D., op.cit ,vol.11, No.10

٥٣) Ibid,vol.1,No.10

٥٤) Ibid,vol.1,No.10

٥٥) Cameron, G.G., History of Early Iran , New York , 1968 ,p.151

٥٦) Luckenbill,D.D., op.cit ,vol.11,No٠ 12

٥٧) Chirshman , R.,op.cit , p.95

سليم ، أحمد أمين ، المصدر السابق ، ص[٤٩٦] .

٥٨) Luckenbill, D.D., op.cit, vol.l1 , No.12 ٥٩) Chirshman , R.,op.cit , p.95

سليم ، أحمد أمين ، المصدر السابق ، ص[٤٩٦] .

٦٠) Luckenbill, D.D., op.cit, vol.l1 , Nos.12,144

٦١) حول حملة سرجون الثاني على اورارتو عام ٧١٤ ق.م ، يراجع :

٦٢) Ibid,vol.11,Nos.19-22 ; Olmstead,A.T.,op.cit,pp.299-141. رو ، جورج ، المصدر السابق ، ص[٤١٨] ؛ ساكز ، هاري ، عظمة بابل ، ص[١٣٤] .

٦٣) Luckenbill,D.D., op.cit ,vol.11, No.144

٦٤) Ibid,vol.1,Nos.146,148

٦٥) Ibid,vol.1,No.148

(*) يقع إقليم اوشدش بين جبل ساهند وبحيرة اورمية ، ينظر : علي ، قاسم محمد ، المصدر السابق ، ص[٨٧] .

٦٦) Luckenbill,D.D., op.cit ,vol.11, Nos.20, 148

٦٧) Ibid,vol.1,No. 155

(*)وهم أقوام من أصول هندو أوربية ، وقد جاءوا من جنوب روسيا إلى بلاد الأناضول والأجزاء الشمالية الغربية من إيران في أواخر القرن الثامن قبل الميلاد ، وتسببوا باضطرابات كبرى في هذه المناطق منذ ذلك الحين والى إن نجح الملك الآشوري آشور بانيبال في إلحاق هزيمة قاسية بهم عند كيليكيا في نهاية النصف الأول من القرن السابع قبل الميلاد ، إذ أدى ذلك إلى تشتتهم واندماجهم بأقربائهم الاسكيثيين الذين كانوا موجودين آنذاك في الجهات الجنوبية الشرقية من بحيرة أورمية ، للمزيد من التفصيلات يراجع : باقر ، طه ، مقدمة في تأريخ الحضارات القديمة ، ج[٢] ، ط[١] ، بيت الوراق للطباعة والنشر والتوزيع ، بغداد ، ٢٠١١ ، ص[٤٣٨-٤٣٩]؛ سليم ، أحمد أمين ، المصدر السابق ، ص[٤٩٧].

٦٨) فالدمار الكبير الذي ألحقه سرجون الثاني بمدن اورارتو عام ٧١٤ ق.م ، جعلت اورارتو عاجزة عن التصدي للكيميريين الذين اجتاحوا أراضيها من الشمال والحقوا الهزيمة بها ، ينظر : ساكز ، هاري ، عظمة آشور ، ص١٣٠ ؛ ساكز ، هاري ، عظمة بابل ، ص١٣٦.

٦٩) عظمة آشور ، ص١٣٢ .

٧٠) رو ، جورج ، المصدر السابق ، ص٤٢٧ .

٧١) إذ وصل الكيميريون في عام ٧٠٧ ق.م إلى قوي (كيلكيا) التي كانت آنذاك إحدى المناطق التابعة للآشوريين في الأناضول ، يراجع : ساكز ، هاري ، عظمة بابل ، ص١٣٦

(*) تقع تابال في الأناضول إلى الشمال الغربي من بلاد آشور ، ينظر : ن . م ، ص١٤٤ .

٧٢) ن . م ، ص١٣٧ .

٧٣) للإطلاع على هذه الرسالة ، يراجع :

Olmsted ,A.T., op.cit, p.361

٧٤) حول ما جاء في هذه الرسالة ، ينظر :

Starr,I.,queries to the sungod divination and politics in Sargonid Assyria,state Archives of Assyria, Vol. X , Helsinki,1990,No.111

❖) وهم من الشعوب الهندو أوربية وقد قدموا من جنوب روسيا وغطوا بغزواتهم المدمرة إرجاء واسعة من منطقة الشرق الأدنى القديم ، وذلك في القرن السابع قبل الميلاد ، إذ أنهم اجتاحوا في هذه الفترة ولاسيما ما بين عامي (٦٣٠ - ٦١٠ ق.م) المناطق الواقعة من القوقاز حتى فلسطين ومن أرمينيا حتى إيران . ويرجح أن الميديين أجبروهم على العودة إلى شمال القوقاز في مطلع القرن السادس قبل الميلاد ، للمزيد من التفصيلات ، يراجع : زايد ، عبدالحميد ، المصدر السابق ، ص ص ٥٦٣ ، ٥٦٦- ٥٦٧ ؛ باقر ، طه ، مقدمة ، ج٢ ، ص ص ٤٠٨ ، ٤٣٩- ٤٤٠ .

٧٥) رو ، جورج ، المصدر السابق ، ص٤٣٥ .

٧٦) للإطلاع على هذه الرسالة ، ينظر :

Olmsted ,A.T., op.cit, p.361

❖) وهم من الأقوام الهندو أوربية ، التي نزحت إلى الهضبة الإيرانية من جهة الشمال في أوائل الإلف الأول قبل الميلاد . وعلى الرغم من تفرقهم وتعرضهم في مواطنهم الجديدة إلى الضغط من الآشوريين منذ منتصف القرن التاسع قبل الميلاد وحتى نهاية القرن التالي ، إلا أنهم استطاعوا آنذاك الانتشار في منطقة واسعة من إيران تمتد من همدان (اكبتانا القديمة) شرقا حتى جبال بكني (ديماوند حاليا) وجنوبا إلى حدود الصحراء الوسطى . واعتبارا من مطلع القرن السابع قبل الميلاد بدءوا بالتوحد تدريجيا في ظل مملكة واحدة . وأشهر ملوكهم كي ـ اخسار (٦٣٣ ـ ٥٨٤ ق.م) الذي بلغت المملكة الميدية في عهده أوج اتساعها ، ولاسيما بعد تحالفه مع الكلديين في إسقاط المملكة الآشورية الحديثة عام ٦١٢ ق.م واقتسامه معهم السيادة على ممتلكاتها ، إذ شملت مملكته فضلا عن بلاد الميديين المار ذكرها بلاد فارس في جنوب غرب إيران وأرمينيا وأجزاء من الأناضول . ولكن بعد وفاته بنحو ثلاثين عاما سقطت المملكة الميدية على يد الفرس الاخمينيين وأصبح الميديون من رعاياهم ، للمزيد من التفصيلات ، يراجع : عثمان ، عبدالعزيز ، معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم ، ج١ ، ط١ ، بيروت ، ١٩٦٧ ، ص ص ٥٠٩- ٥١٦، ٥٢١ ؛ باقر ، طه ، وآخرون ، تاريخ ايران القديم ، بغداد ، ١٩٧٩ ، ص ص ٢٥ ، ٢٧- ٤١ .

٧٧) Grayson , A.K.,"Assyria: Sennacherib and Esarhaddon(704-669 B.C) " , CAH,vol.111, part.2 (Cambridge,1991),p.129. وللإطلاع على رسائل أسرحدون ,

للمعبود شمش التي تخص تحالف الأقوام الشرقية ضده ومن بينهم المانائيون ، ينظر : Olmsted ,A.T., op.cit, pp.359- 361

(٧٨ Olmstead,A.T. , op.cit, p.361

٧٩) حسن ، سليم ، المصدر السابق ، ج[١١]، ص[٥٢٤] .

٨٠) حول نص هذه الرسالة ، يراجع :

Starr,I., op.cit,vol.X,No.112.

٨١) ذلك إن غزو أسرحدون لصيدا الذي أدى إلى تدميره للمدينة وتهجيره لسكانها كان في العام ٦٧٧ ق . م ، ينظر :

Grayson , A.K. ,"Sennacherib and Esarhaddon " ,CAH,vol.111, part.2 , p.125.

ساكز ، هاري ، عظمة آشور ، ص[١٤٦] . وحول قضاء أسرحدون على التمرد في صيدا ، يراجع :

Luckenbill, D.D., op. cit , vol.ll,No.511.

(٨٢.533 Luckenbill, D.D., op.cit, vol.l , No

(٨٣ Grayson , A.K., "Sennacherib and Esarhaddon " ,CAH,vol.111, part.2 ,p.128 ٨٤) رو ، جورج ، المصدر السابق ، ص[٤٣٤].

٨٥) Grayson A.K. , "Assyria 668-635 B.C : The reign of Ashurbanibal ",CAH, vol. 111 ,Part. 2 , (Cambridge,1991), p.146.

(٨٦Luckenbill,D.D., op.cit ,vol.11,No.786

(٨٧ Ibid,vol.1,No.786

٨٨) وهذا ما يمكن الاستدلال عليه من خلال إحدى الرسائل التي وجهها أسرحدون إلى معبوده شمش ، للإطلاع على هذه الرسالة ، ينظر :

Olmstead,A.T. , op.cit, p.360.

(٨٩Wiseman, D.J., "The vassal- Treaties of Esarhaddon", Iraq, Vol.X1X,part.1,London,1958 ,p.10.

٩٠) الفتلاوي ، أحمد حبيب ، أسرحدون (٦٨٠- ٦٦٩ ق.م) ، رسالة ماجستير غير منشورة ، واسط ، ٢٠٠٦، ص[١٥٤].

(٩١ Oates,J., "The fall of Assyria (635-609 B.C) ", CAH,vol.111, part.2 , (Cambridge,1991), p.178

عثمان ، عبدالعزيز ، المصدر السابق ، ج[١] ، ص[٣٥٩] ؛ بليافسكي ، أسرار بابل ، ترجمه توفيق فائق ، ط[٢] ، دار علاءالدين ، دمشق ، ٢٠٠٧ ، ص[٥٦] .

٩٢) حول التدهور الكبير الذي أصاب المملكة الآشورية الحديثة ما بين عامي (٦١٦ - ٦١٢ ق.م) ، يراجع:

Oates,J., "The fall of Assyria" , CAH, vol. 111,Part.2, pp.178 – 182 .رو ، جورج ، المصدر السابق ، ص[٥٠٢-٥٠٥] .

٩٣) زايد ، عبدالحميد ، المصدر السابق ، ص[٥٦٣] .